

هذه عصارة تجربة في الحكم عبر مدة من الزمن تناهز الأربع سنوات في حقبة عصيبة من تاريخ لبنان حفلت بالأحداث والتطورات على كل صعيد: على الصعيد الداخلي كما على الصعيد العربي، على الصعيد الأمني كما على الصعيد السياسي، على الصعيد الوطني كما على الصعيد الإنساني والاجتماعي والمعيشي.

عايشت تجربة الحكم منذ بداية عهد الرئيس الياس سركيس، أولاً من موقع الصديق المحبّ ثم من موقع الشريك في الحكم رئيساً للوزراء.

انكسبت متطوعاً منذ انتخاب الأستاذ الياس سركيس رئيساً للجمهورية على إعداد ملف الإعمار والإئناء، أشاغل نفسي في عمل مفيد في الوقت الذي كان فيه المصرف الوطني للإئناء الصناعي والسياحي - وكنت آنذاك رئيساً لمجلس إدارته ومديراً عاماً له - معطل النشاط بسبب الأحداث الدامية التي كانت البلاد مسرحاً لها. فإذا بالتطورات تدفعني شيئاً فشيئاً إلى معترك السياسة، وإذا بي أرافق رئيس الجمهورية إلى مؤتمر القمة العربية في القاهرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٦، فشاركته فيه ضمن الوفد اللبناني من غير أن يكون لي أية صفة رسمية.

فإذا كانت مشاركتي في مؤتمر قمة القاهرة، في ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٦،

بمشاركة أول مناسبة رسمية لي للملازمة شؤون السياسة في لبنان وشجونها، فعند خروجي من الحكم في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٠ كنت قد أمضيت أربع سنوات بالتمام والكمال في خضمها، قضيت الأشهر الأربعة والنصف الأخيرة منها في حال الاستقالة أصرف الأعمال في انتظار قيام حكومة جديدة.

توليت رئاسة الوزراء خلال تلك الفترة على رأس حكومتين متتاليتين، تألفت أولاهما في ٩ كانون الأول ١٩٧٦ والثانية في ١٦ تموز ١٩٧٩. وتخللت ولاية الحكومة الأولى استقالة فمحاوله لتأليف حكومة جديدة. وعندما تعثرت المحاولة جرى تعويم الحكومة المستقيلة في خطوة غير مألوفة. اعتبرت أهون الشرور.

شهدت هذه الفترة أحداثاً وتطورات خطيرة للغاية. من عناوينها، إلى الانتكاسات الأمنية التي لا حصر لها، استشهاد الزعيم الوطني كمال جنبلاط والمجزرة التي أعقبت اغتياله في منطقة الشوف، واستشهاد النائب طوني فرنجية وأفراد عائلته والمجزرة التي رافقت اغتياله في إهدن والمجزرة التي أعقبت ذلك في منطقة القاع، واختفاء رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الإمام موسى الصدر ورفيقه، واجتياح إسرائيل للجنوب وما رافقه وأعقبه من مأس إنسانية واجتماعية عنيفة ومن تحديات مصيرية، ومجزرة الصفرا، وغيرها.

وسجّلت هذه الحقبة عدداً من مؤتمرات القمة العربية: بدءاً بقمة القاهرة مروراً بقمة بغداد وانتهاءً بقمة تونس، وكان الموضوع اللبناني محور المناقشة في اثنين منها، أي في قمة القاهرة وقمة تونس.

وتخلّلت الفترة تطورات على صعيد المنطقة قلبت الأودنماع والمقاييس في مسار القضية العربية وزعزعت قواعد المواجهة العربية للعدو الصهيوني،

وذلك انطلاقاً من قيام الرئيس السادات بزيارة القدس وانتهاءً بعقد اتفاقيتي كامب دايفيد ومعاهدة الصلح المنفرد بين مصر وإسرائيل.

هذه الأحداث والتطورات كان لها من الأثر على مسار الأزمة اللبنانية ما أفرز تغيّرات وتحولات عميقة في خريطة التحالفات والعلاقات والتوجهات بين أطراف النزاع على الساحتين السياسية والأمنية في لبنان، مما أسهم في إحباط الكثير من الترقّبات وتغيير الكثير من الحسابات وإجهاض الكثير من المبادرات والمحاولات. وبعد أن كان التفاعل بين أزمة لبنان وأزمة المنطقة يجري في اتجاه واحد أو على خط واحد، ضغطاً من أزمة المنطقة على أزمة لبنان، جاء يوم أصبح فيه هذا التفاعل يجري في اتجاهين أو على خطّين، بحيث باتت أزمة لبنان تضغط على أزمة المنطقة كما تضغط أزمة المنطقة على أزمة لبنان.

وكانت من الحكم مبادرات عديدة على الصّعد الإعمارية والإنمائية والأمنية والسياسية بآت في معظمها بالفشل لأسباب متشعبة ومتفاوتة. وفي جملة تلك المبادرات محاولات استهدفت تحقيق الوفاق الوطني وخطوات استهدفت اختراق واقع الأزمة الخائقة في الجنوب عن طريق إرسال وحدات من الجيش اللبناني في مهام محددة بالاتفاق مع القوات الدولية، ومحاولة واحدة على الأقل استهدفت جمع ممثلين عن مختلف أطراف النزاع في حكومة اتحاد وطني. وعلى صعيد الإنماء والإعمار وُضعت نصوص ومشاريع كثيرة، وكانت باكورتها إنشاء مجلس الإنماء والإعمار.

عصارة هذه التجربة سكبنتها في هذه المجموعة من المحاضرات والبحوث التي توخيت من خلالها أن أتبين النافذة التي يطل لبنان منها على المستقبل من وراء أسوار الأزمة - المحنة التي تطوقه.